**OPEN ACCESS**
***Journal of Arabic Research (AIOU)***
*jar.aiou.edu.pk*
*iri.aiou.edu.pk*

# دراسة فنية و تحليلية لرواية "الحجاج بن يوسف" لجرجي زيدان

*** د.عذراپروين**

الأستاذة المشاركة بقسم اللغة العربية، جامعة بهاءالدين زكريا، ملتان

**** د. فخرمعين**

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

## ABSTRACT

The article in your hands discusses the analytical and and technical aspects of " Hajaj Bin Yousaf, a novel written by renowned Arab novelist jurji Zaidan. Both real and fictitious characters relate with the history have been discussed in the novel. The novelist has narrated the historical events in an attractive manner. There are mainly two aspects discussed by the novelist.Firstly, the novel starts with the narration of historical incidence of Fateh Makah and the assassination of Abdullah Bin Zubair by Hajjaj Bin Yousaf . The novelist has also described the brutality of Hajjaj Bin Yousaf .

After the death of Abdullah Bin Zubair, the khilafat was shifted towards Abdul Malik Bin Marwan.

The second aspect deals with the love story of the fictitious characters named as Hassan and Summaiya and the novel ends with their union. The unity of time and place, splendid dialogue writing and the narration of incidents in a grand style by the novelist is commendable/ praiseworthy.

***Key words**: Novel, Hajaj Bin Yousaf , Jurji Zaidan.*

### شخصيات الرواية

إنّ الشخصية عنصر هام من العناصر الفنية في الرواية، وهي لا تعمل بمعزل عن الشخصيات الأخرى والحدث والموضوع والحبكة والزمان والمكان وسواها، وهي ترتبط بها ارتباطاً جدلياً عضوياً. فإنّ شخصيات الرواية يؤثر بعضها في البعض الآخر ويكتشف بعضها بالبعض الآخر.

ويقسم الروائي شخصيات الرواية إلى أقسام مختلفة مثلاً: منها شخصيات رئيسية، يُولي الروائي عناية خاصة، وهي التي تدور الأحداث حولها، ويكون موضوع الرواية متصلاً بها اتصالاً شديداً، وهي التي تقوم بالبطولة.

والرواية " الحجاج بن يوسف" تشتمل على هذه الشخصيات، بعضها خيالية وحقيقية، وبعضها إيجابية و سلبية، وبعضها رئيسية و ثانوية. وتفصيلها يأتى هكذا:

| | | | |
|---|---|---|---|
| 1- | عبدالله بن الزبير | : | ابن الزبير بن العوام. |
| 2- | عبدالملك بن مروان | : | أحد ملوك بني أمية. |
| 3- | الحجاج بن يوسف الثقفي | : | عامل عبدالملك على العراق. |
| 4- | سكينة بنت الحسين | : | بنت الحسين بن علي. |
| 5- | ليلى الأخيلية | : | الشاعرة المشهورة. |
| 6- | عزة الميلاء | : | زعيمة الغناء بالمدينة. |
| 7- | سمية بنت عرفجة | : | من فتيات المدينة. |
| 8- | حسن خطيب سمية | : | من أهل العراق. |
| 9- | محمد بن الحنفية | : | أخوالحسين بن علي |
| 10- | عبدالله بن صفوان | : | من أتباع ابن الزبير. |

أحداث الرواية ووحدة الزمان والمكان

**أ.أحداث الرواية**

وأحداث الرواية تشتمل على ظاهرتين:

الظاهرة الأولى هي التاريخية التي تتضن حصار مكة على عهد عبدالله بن الزبير إلى فتحها ومقتله وخلوص الخلافة لعبد الملك بن مروان.

والظاهرة الثانية: هي الرومانتيكية أى قصة الحب والغرام بين سمية وحسن وبين جميل وبثينة وبين ليلى الاخيلية و توبة. أحداث التاريخية والغرامية تجري معاً في الرواية.

والرواية تبدأ من فذلكة تاريخية ولكن أحداث الرواية تأتي هكذا : ففى المدينة ذاع صيت "عزَّة الميلاء" التي اشتهرت بالغناء الموقّع، وكانت دارتها في أقصى شمال المدينة مما يلي طريق الشام، وفيها دار لأضياف كعادة بيوت أهل العزِّ والشرف وعلو المكان في ذلك العصر. وكانت عزَّة إلى جانب براعتها في الغناء ذواقة للشعر، بارعة في العزف على العود رغم كون العرب حديثي العهد بهذه الآلة. وكان في المدينة جماعة من المخنثين يترددون على عزّة ويتقربون إليها يستفيدوا منها تعلم الأصوات، وكان من أشهرهم، "طويس" المغني الذي كان نديماً لعزّة، يشارك في مجالس غنائها ويتميز بخفة روحه.

واشتهر في ذلك الوقت، وجلس سكينة بنت الحسين حيث كان يلتقى الشعراء الفطاحل أمثال الفرزدق وجرير اللذين اشتهرا بالمهاجاة، إلا جانب شعراء العشق والحب العذري وأبطاله ممن اقترن اسمه باسم الحبيبة مثل جميل بثينة أحد شعراء بني عذرة الذين كانوا يقيمون في وادي القرى، وكثير عزة وكانت سكينة ذواقة للشعر، تهتم بمباحثة الشعراء فيما قالوه وما نظموه وتغدق عليهم عطاياها. وبرز إلى جانب عزة و سكينة اسم ليلى الأخيلية، الشاعرة البدوية،

التي أحبت توبة وأحبها وتناجيا شعراً لاريبة فيه، ولكن عادات أهل البادية كما تقول ليلى نغصت على المحبين متعة الحب، فأجبر أهل ليلى شاعرتهم على الزواج من رجلٍ من بني الأدلع وأهدروا دم توبة.

في هذا الجو المفعم بالحب، والشعر والغناء أغرى "حسن" بالإستماع لنداء قلبه والبحث عن سمية بنت عرفجة والتي كان قد أنقذها وأبيها من الموت إبان حملة مصعب بن الزبير على المختار في الكوفة، فقد كان عرفجة هذا من أتباع المختار، ووعد حسناً بتزويجه سمية عند ما تسنح الظروف، وتتوالي الأحداث ويقع حسن في أسر عبدالملك بن مروان إبان حملة هذا الأخير على مصعب وكان حسن من أتباع مصعب.

وتشاء الظروف أن يدخل حسن في خدمة خالد بن يزيد فيكلفه هذا الأخير مع ليلى الأخيلية بحمل رسالة إلى عبدالله بن الزبير المحصور في مكة، خاطباً فيها أخته رملة. وبين نداء القلب ونداء الواجب يعيش حسن أياماً في المدينة محاولاً معرفة مكان حبيبته (سمية) يستدل على بيت عرفجة الذي يبدي له المناورة والمداورة وميلاً للتملص من التعهد السابق (زواج سمية مع حسن)، ويعطيه قباء ويقترح عليه التعجيل بالخروج لمهمته إلى مكة محدداً له طريق الخروج مضمراً له الشر، مما أقلق سمية التي شكت همها إلى خادمتها (أمة) وأثناء خروجه من بيت عرفجة يلتقي بصديقه (سليمان) الذي ومن قبيل الصدفة يحمل القباء ويتفق الإثنان على اللقاء في الطريق الذي حدده عرفجة ويعود حسن للقاء سمية و تجديد ما بينهما من العهد. وكان عرفجة قد أغرى رجلاً لقتل حسن وحدد له حامل القباء كعلامة مميزة. ويأتي القاتل المأجور وفي عتمة الليل ينفذ خنجره في خاصرة حامل القباء وتكون المفاجأة مذهلة فالقاتل أبو سليمان والضحية ولده سليمان. ثم يلتقى الثلاثة حسن و سليمان وأبوه ويعمل حسن بخبرته على اصطناع دواء يعالج سليمان من جروحه ويعاهد والد سليمان حسناً بخدمته والإخلاص له ويعترف له بما كلفه به عرفجة ناكر الجميل.

وكان حسن قبل ذلك قد أضاع خادمه وجمله وعليه محمل فيه كتاب خالد بن يزيد إلى عبدالله بن زبير. فيهيم في البادية بحثاً عن خادمه و جمله.

ويلتقى بأحد رعاة الإبل الذي يعده بإرشاده إلى جمله، ويسيران سوياً للبحث عن الجمل ويشاهدان أجمل مشهد للحب العذري بين جميل وبثينة ويسمعان نجواهما وطهارة حبهما ويتأجج الحب في صدر حسن و تستعر نيرانه ولسوء الطالع يعود حسن باتجاه المدينة فيسمع صوت جمل يعرف بعدها أنه جمله وأنه أصيب بكسر فيتفقد المحمل فلا يجده، ويلتقي سليمان وأباه. ويقص عليهم قصته ويقرر العودة إلى المدينة عسى أن يجد خادمه والمحمل الذي فيه كتاب خالد. وفي تلك الأثناء تأتي سمية لإنتظار حبيبها و تحذيره من غدر والدها فيقع نظرها على القباء الذي أهداه والدها لحسن وقد عفر بالدماء والتراب و مزقته طعنات السيوف والخناجر. فتظن أن حبيبها قد قتل فتعود إلى بيتها وتندب حظها وأمة الله تحاول تهدئتها والتخفيف عنها.

بعد أن فقد حسن الأمل برؤية سمية والعثور على خادمه والمحمل أملاً بحمل كتاب خالد. قرر الذهاب إلى مكة بدون الكتاب فيقص على ابن الزبير ماحدث معه فزوده أبو سليمان بجمل وألحق به خادمه (بلالاً) ليرافقه في طريقه إلى مكة. وعلى مداخل مكة منع جند الحجَّاج حسناً و خادمه من الدخول إلى مكة المحاصرة فيقترح بلال على حسن المرور إلى شعب علي بن أبي طالب حيث يقيم محمد بن الحنفية ولا يرد له طلباً. وكان ما كان من قصة المبيت في

الشعب و مشاهدة عرفجة ولقائه محمد بن الحنفية والطلب إليه أن يكلفه بالدعوة إليه ويطلعه على قصة كرسي جبريل الذي اشتهر بها المختار حيث كان يجلس ويدعي أن الوحي ينزل عليه ، وكان عرفجة بعد مقتل المختار قدحمل هذا الكرسي داخل المحفة ووضعها في غرفة في بيته يدخلها نهاراً ويقضي فيها ساعات، وقد ذاع صيت هذه المحفة وما تحويه من أسرار وسمع ابن الحنفية وهو يعنّف عرفجة ويأمر بإحراق الكرسي. وبعد ذلك ينال حسن من ابن الحنفية ما يسهّل له دخول مكة ويلتقي فيها ابن الزبير ويتأكد من حتمية خسارة هذا الأخير في حربه. ويبلغ حسن عبدالله بن زبير برغبة خالد بالزواج من رملة أخت بن الزبير. ويقص عليه ماحدث ويتعهد لعبدالله بالحصول على كتاب من خالد بدل الكتاب الذي فقده، ويأخذ من عبدالله بن زبير موافقة على القبول بطلب خالد بن يزيد. ويتردد حسن بالخروج من مكة وتحادثه نفسه بالبقاء مع ابن الزبير وتهيج به ذكرى سمية و واجبه اتجاه خالد بن يزيد، وتدخل مكة في هذه الأثناء ليلى الأخيلية حاملة إلى ابن الزبير شروط الذل التي فرضها الحجاج على ابن الزبير، ويخرجان معاً ليلى وحسن، على أن يكون حسن راوية الشعر للأخيلية، فيتنكر ويدخلان إلى معسكر الحجاج فيلمحه عرفجة ويعرفه و يشي به إلى الحجاج فيعتقل، وتحصل بين يدي الحجاج مناظره بين حسن و عرفجة يحاول كل منهما أن يوقع الآخرو إنزال التهم به حتى ينال منه الحجاج، والحجاج يستمع ويتريث في إصدار الحُكم وخاصة بعد مارأي في حجج حسن في التشكيك بإخلاص عرفجة لبني أمية. وكان حسن قد أنفذ خادمه (بلالاً) للحصول على ما يثبت إدانة عرفجة من محمد بن الحنفية. وأثناء انشغال الحجاج بالهجوم على مكة وبتدبير من خادم حسن (عبدالله) والذي كان قدحمل كتاب خالد المخبأ بالمحمل المفقود وبعد أن ألبسه ثياب الحرس تمكن حسن من الدخول إلى مكة ثانية لإيصال الكتاب، فيرى أن حالة ابن الزبير تتداعى للأسواء وعلى وقع حجارة المنجنيق على أسوار الكعبة وفي باحة مسجدها ويبلغه ابن الزبير بعد أن استلم الكتاب بأن الحجاج خيَّره بين السلم والذلة فاختار الموت على التسليم، رغم تفرق أصحابه وبقاء ابن صفوان معه. ويحضر حسن لقاء عبدالله بن الزبير مع أمه اسماء بنت أبي بكر والملقبة "بذات النطاقين" وكلماتها المعبرة إلى إبنها تحثه فيها على القتال وفي كلماتها:

"أنت أعلم يا بني بنفسك، فإن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له، فقد قتل عليه اصحابك ولا تمكن غلمان بني أمية من رقبتك وإن كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك ومن قتل معك ، وإن قلت: "كنت على الحق فلما وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعلالأحرار ولا أهل الدين".إلى أن قالت: "اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل وذلك النحيب و والظمأ في هواجر مكة المدينة، وبرَّه بأبيه و بي، اللهم قد سلمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت فأثبني فيه صواب الصابرين الشاكرين".

إلى أن نصل إلى قمة الشهامة فعندما عانقته وقعت يدها على الدرع فنفرت وقالت: "ما هذا صنيع من يريد ما تريد!".

فقال عبدالله بن زبير والخجل في وجهه: "ما لبسته إلاّ لأشدَّ متني".

فقالت: "إنه يشد متناً، البس ثيابك مشمرة". ذلك كان موقف اسماء مع ابنها في آخر لحظات حياته.

وتنتهي مأساة ابن الزبير بقتله ونعود بعدها إلى المحاكمة في فسطاط الحجاج لعرفجة وحسن الذي عاد متنكراً وضبط بعد وشاية عرفجة خارجاً من خيمة سمية.

ويأتي في اللحظة الحاسمة كتاب ابن الحنفية مديناً عرفجة فيصدر الحجاج حكمه ويقتل عرفجة وفي لحظة تنفيذ الحكم بحسن يصل والد سليمان الذي كان حسن قد أرسله للحصول على كتاب من خالد بدل الكتاب الذي كان قد فقده و يدخل على الحجاج لابساً ثياب بريد الخليفة ويضع بين يدي الحجاج كتاب عبدالملك وهو يأمره بأن يطلق سمية ويقدم لحسن وسيمة ما يحتاجانه من الأموال للمهر والجهاز ويزداد عنصر التشويق والحبكة القصصية والناس في ذهول مما حصل يهرع الجميع نحو جناح الحريم على أصوات استغاثة و نحيب إنذاراً بمصيبة قد حلت بسمية التي كانت تحتفظ وبناء لنصيحة أمة الله برقٍ مسمومٍ للوقت المناسب إذ كانت سمية تفضل الموت على الحياة مع الحجاج بدون حبيبها حسن. وكانت ليلى الأخيلية قد أبدلت ذلك الرق برق آخر غير مسموم. وتفيق بعدها سمية من غيوبتها وتزف إلى حسن.

فيشكر حسن لليلى صنيعها، واحتفل الجميع بزفاف حسن وسمية في بيت عرفجة الذي آل إرثاً لسمية وبحضور سكينة بنت الحسين وغنى ليلتها طويس وغنت عزة الميلاء، وأجاد أشعب الطماع في المجون حتى كادت تتمزق خواصر الناس من الضحك.

وبعد العرس سار الخادم (عبدالله) إلى خالد بن يزيد حاملاً كتاباً من حسن بتفصيل ماحدث في شأن رملة وقبول عبدالله بن زبير خطبته لها فجاء خالد و تزوج رملة كما هو مدون في التاريخ.

**(ب)وحدة الزمان والمكان**

المكان والزمان أو البيئة الذي تدور فيه أحداث القصة، أو مجموعة القوى والعوامل الثابتة والطارئة التي تحيط بالشخصيات، وتؤثر في تصرفاتها، وتوجهها، عنصران من أهم عناصر الرواية ، وتؤدى البيئة دوراً هاماً في الرواية. فكذلك لابد من مكان أو أمكنة تحتوي الأحداث والحركة والشخصيات معاً. والزمن ضابط الفعل، وبه يتم، وعلى نبضاته يسجل الحدث وقائعه، وهو شيء مجرد يجسد في الرواية بوساطة سرد الحوادث، وهو عنصر بنائي يؤثر في عناصر الرواية وينعكس عليها.

والزمن الروائي زمن تخييلي، حيث تستقل الرواية بزمنها الخاص المختلف قليلاً أو كثيراً عن الزمن في الطبيعة الخارجية وذلك كاختلاف العمل الفني عن الواقع أو التاريخ. يقول جرجي زيدان:

"وأخذنا نهيء أذهان القراء على اختلاف طبقاتهم وتفاوت معارفهم ومداركهم لمطالعة هذا التاريخ بما ننشره من الروايات التاريخية الإسلامية تباعاً في "الهلال" لأن مطالعة التاريخ الصرف تثقل على جمهور القراء، وخصوصاً في بلادنا، والعلم لا يزال عندنا في دور الطفولة، فلا بد من الاحتيال في نشر العلم بيننا بما يرغب الناس في القراءة والروايات أفضل وسيلة لهذه الغاية".

إن هذا النص يدل على أن جرجي زيدان "يخطئ خطأ من يعلم لا خطأ من يجهل".

فهو يعلم التاريخ بطريقته الخاصة، التي تعطي القارئ ما لايتفق مع الحقيقة، وذلك ما تثبته رواياته بالرغم من أنه ينفي ذلك صراحة فيقول:

"وأما نحن فالعمدة في رواياتنا على التأريخ وإنما نأتى بحوادث الرواية تشويقاً للمطالعين، فتبقى الحوادث التاريخية على حالها وندمج فيها قصة غرامية، تشوق المطالع إلى استتمام قراءتها، فيصبح الاعتماد على ما يجيء في هذه الروايات من حوادث التاريخ مثل الاعتماد على أي كتاب من كتب التأريخ من حيث الزمان والمكان والأشخاص".

يبدأ جرجى زيدان رواية الحجاج بن يوسف "بغادة كربلا" إلى مقتل الحسين بن علي وأهله في كربلا بجوار الكوفة. وكذلك يذكر الروائي مختلف الأماكن والسنوات التي تأتي حسب كتب التاريخ. مثلاً نجد في الرواية:

- وفاة يزيد بن معاوية سنة 64هـ. ص:17.
- وفاة مروان بن الحكم سنة 65هـ. ص: 17.
- ظهور المختار بن أبي عبيد في الكوفة سنة 66هـ. ص: 17.
- قتل مصعب بن زبير في العراق سنة 71هـ. ص: 18.
- إرسال جند الحجاج بن يوسف لفتح مكة سنة 73هـ. ص: 18.
- محاصرة ابن الزبير في مكة سنة 72هـ. ص: 106.
- وفاة معاوية وتولي الخلافة ابنه يزيد سنة 60هـ. ص: 30.
- ولادة اسماء بنت أبي بكر ، أم عبدالله بن الزبير قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة. ص: 136.

نرى في الرواية أن الشخصيات تدور في مختلف الأماكن مثلاً:

حسن وسمية وليلى تطوف بين مكة والمدينة والعراق والشام والطائف.

## الحوار والأسلوب في الرواية

### (أ)الحوار في الرواية

الحوار جزءاً هاماً من الأسلوب التعبيري في الرواية، وهو الذي يسهم اسهاماً فعّالاً في رسم الشخصيات. ولغة الحوار عامية. والحوار بعضها قصيره وطويلة وبعضها خيالية وحقيقية. والحوار المهم في الرواية الذي يجري بين عبدالله بن الزبير وأمه اسماء بنت أبي بكر هكذا:.

فقال عبدالله: إنما أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي".

فقالت: "يا بني إن الشاة لا تتألم بالسلخ، فامض واستعن بالله".

فقال عبدالله: "إنما جئت مودعاً فكأني بهذا اليوم آخر أيامى من الدنيا".

تقول لعبدالله: "امض على بصيرتك وادن مني حتى أودعك.

والحوار هو أيضاً ذات أهمية الذي يجري بين حسن وليلى التي تخبره بأن سمية في بيت الحجاج بن يوسف.

قال حسن: "بالله كيف حالها؟ وما الذي جرى لها؟".

قالت ليلى: أراك غائباً عن الدنيا؟ ألم تعلم أنها حملت إلى الحجاج لتزف إليه؟".

فلما سمع ذكر الزفاف صعد الدم إلى وجهه وقال: "إذا كان الحجاج عقد قرانه كما تقولين، ويئست من لقائي فكيف ألقاها"؟.

قالت: الحب كله رجاء ياحسن، بل الحب يضع الرجاء في موضع اليأس"، إن دون الوصول إليها عقبات لا يستطاع تجاوزها إلا بالحكمة". قال: "وأى حكمة؟ كيف يمسها الحجاج وأنا حي؟ ليس في الحب حكمة. الحب شيء والحكمة شيء آخر. إن الرجل إذا أحب، خضع لقوانين الحب وحدها، وما في الحب حكمة ولاسياسة ولارياء.

**(ب)الأسلوب في الرواية**

إن الأسلوب الفنى هو: "عنصر علوي سام: يمثل انعكاس أسلوب الخالق في نفس المخلوق. فكأن الله سبحانه إنما أودع في الإنسان أثراً من أسلوبه في الخلق حين خلقه وصوره".

وما ذلك إلا لأن الأسلوب هو الإطار الفني الذي يتفاوت فيه الأدباء تجديداً وابتكاراً أو تقليداً واحتذاء. وإن الكاتب إذ يخلو إلى نفسه وقلبه ويترك التصنع والتقليد، يستطيع أن يهتدى إلى أسلوبه وهكذا نرى أن الأسلوب يكمن في فن التعبير والفن هو الثوب الجديد الذي يلبسه الفنان للهيكل القديم. الأسلوب لجرجي زيدان في هذه الرواية سهل وجذاب.

**أسلوب وصف المناظر الطبيعة الجميلة و منظر مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم**

يذكر جرجي زيدان في الرواية المناظر الطبيعة الرشيقة مثلاً: "ويحيط بها بستان من النخيل تتخلله أشجار الفاكهة من البرتقال والتفاح، وعيله سور قليل الارتفاع له باب بمصراع واحد في وسطه خوخة. وفي بعض جوانب البستان مستنقعات وأشجار.

وكذلك يصورلنا الروائي منظر مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

"المدينة" أو "يثرب" هي مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفيها قبره و مسجده. وكان يحيط بها سور و خندق، وهي واقعة في منبسط من الأرض تكتنفها الآجام والغياض، وتتخلل ابنيتها البساتين والحدائق وأكثر مغارسها من النخل.

يحيط بالمدينة من بساتين النخيل وما بينها من برك الماء والمستنقعات ومن وراء سور المدينة تلال و جبال ومنهن جبل أحد الذي جرت فيه الواقعة الشهيرة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم و قريش.

وهناك مناظر المياه حوالي غروب الشمس والبحيرة فإن ماءها ساكن كأنه صفحة من الفضة اللامعة، وظلال النخيل تتراءى على شواطئها مقلوبة كأنها مردة من الجان غائصون في الماء.

**يذكر الروائي منظر غروب الشمس البديع**

"وكانت الشمس لمادنت من المغيب قد أرسلت أشعتها منحرفة على تلك المغارس فاستطالت ظلال النخيل وما زالت تستطيل وتضعف حتى اختلطت بالظلام".

"وكان سطح البحيرة بعد أن غابت الشمس مازال يلمع بفعل انعكاس الشفق عليه، وظلال النخيل فيه واضحة عليه وضوح الخطوط السود على الصفحة البيضاء. وبعد قليل لم يعد يظهر للرائي غير سطوح المياه وما يبدو فيها من ظلال الأشجار".

**يذكر جرجي زيدان منظر القتال بين الحجاج بن يوسف و عبدالله بن الزبير**

"فلما مضى عبدالله ومن معه إلى القتال التفت فرأى أعلام بني أمية قد ملأت الطرقات، فسارع إلى المسجد الحرام، ولكنه لم يستطع الدخول، لأن الحجاج كان قد أوقف ببابه أناساً ليمنعوا الناس من دخوله، فدخل منزلاً إلى جوار المسجد وأطل من كوة فيه فرأى ابن الزبير يناضل مناضلة الأسود، وينتقل في المعمعة من جهة إلى أخرى، وبجانبه ابن صفوان يدافع عنه، ثم سمع عبدالله يقول: "ويلمه فتحاً لوكان له رجال". فقال له ابن صفوان: "أي والله وألف". فحدثت حسن نفسه بأن يمضى إليهما ويقاتل معهما، ثم لاحت منه التفاتة فرأ الحجاج قد ترجل وأقبل يسوق الناس إلى مقاتلة ابن الزبير بعد أن رآهم لايقوون على الوقوف بين يديه، وكان حامل علم ابن الزبير يقف بباب شيبة من أبواب المسجد، فهجم الحجاج عليه بمن معه، فرآهم ابن الزبير فسارع إلى صدهم عنه، واستمر القتال على أشده بباب المسجد ، ثم دخله الفريقان، ولم يمض قليل حتى استطاع الحجاج ورجاله قتل صاحب العلم وأخذوه منه، فتفرق رجال ابن الزبير من حوله، ولكنه ظل يقاتل حتى قتل هو و ابن صفوان وتم انتصار الحجاج".

## أسلوب كتابة المكتوب في الرواية

يختار الروائي أسلوب كتابة المكتوبات بين شخصيات الرواية مثلاً:

1- كتاب من خالد بن يزيد إلى أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير. ص: 134.

2- كتاب من حسن إلى خالد بن يزيد. ص: 138.

3- كتاب من عبدالله (خادم حسن) إلى حسن. ص: 182.

4- كتاب من خالد بن يزيد إلى ابن الزبير. ص: 192.

5- كتاب من أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف. ص: 193.

6- كتاب من حسن إلى خالد بن يزيد. ص: 198.

7- كتاب من محمد بن الحنفية إلى الحجاج بن يوسف، ص: 190.

8- كتاب من عبدالملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف، ص: 51.

## أسلوب ذكر الملامح

يذكر جرجى زيدان عن ملامح كل الشخصيات إلا عبدالملك بن مروان وابن صفوان فى الرواية. وهذه الملامح خيالية. وهذا أسلوبه.

**أسلوب ذكر عواطف الحب والهيام**

يذكر الروائي عواطب الحب والهيام والغرام بين المحبين. والرواية مليئة بهذه العواطف، مثلاً:

تقول سمية عن حسن: "أما حسن فماذا يربطني به؟. الحب؟. وما معنى الحب؟ إن عذابه عذاب. آه ما أحلى الحب وما أشرف عواطف المحبين. كيف يعيش الناس بدون الحب وما الفائدة من الحياة بلا محبة؟. إني لا أري في العيش لذة إلا حين أفكر في حسن. آه ما ألطف هذه الاسم. ولكن كثيراً ما كنت أسمعه قبل أن أعرف الحب فلا ألتذ لفظه كما ألتذه الآن فأنا إنما أتلذذ بالحب. آه ما أحلاه وما أحلى لفظه بفمي وذكره بفكري وما أحلى صورته في عيني!".

ويذكر الروائي الفرق بين حب الرجل والمرأة في إظهاره. مثلاً قال جميل عن حب بثينة: قال: "لا أعرف في لغة البشر لفظاً يعبر عما في قلبي، فإنه أعظم من الحب، وأشد من الغرام، وأرقى من العبادة. ولا أدرى ما هو يابثينة فإذا اكتفيت بتسميته حباً فإني لا أراه يؤدي ما في قلبي".

فقالت بثينة: "إذا كنت أنت كذلك فكيف أنا، ولكننا معشر النسآء مقضي علينا بالتعب والشقاء، قلا تقدر إحدانا على بث شكواها إلى أحد لئلا ينثلم عرضها وأما انتم معشر الرجال فلكم الحرية كلها. وأنت تزعم أنك تحبني حباً لا تدري مقداره. فهل يهجر محب حبيبه وقد أحبه إلى هذا الحد"؟.

**ذكر جمال النساء من خلال أسلوبه الروائي**

يذكر الروائي حسن و جمال النساء في الرواية خاصة بطلة الرواية مثلاً: كانت سمية مشهورة بجمالها وتعلقها ولطفها".

"فإنها زينة بنات المدينة". "وكان أهل المدينة يتحدثون بجمال سمية ولطفها، "وكان هو يريد أن يتجر بذلك الجمال".

**عنصر التجسس والتشويق**

يُوجد في الرواية "الحجاج ين يوسف" عنصر التجّسس والتشويق هو عنصر هام من عناصر الحدث والرواية ، ورواية بلا تشويق جافة، وربما لا يقبل على قراءتها القراء، وهو الذي يشد انتباه القاريء، ويجذبه إلى إتمام قراءته. نجد عنصر التجسس مثلاً:

إذا وصل عرفجة إلى فسطاط محمد بن الحنفية وحسن كان موجوداً هناك. وكان مع عرفجة عنبر (خادمه) على كتفه الهودج والحسن يظن بأنه يحمل ابنته (سمية) معه. واستغرب حسن وقال، "لا أخاله يفعل ذلك، وهب أنه حملها فلا أظنه يبقيها محبوسة لا نسمع لها صوتاً، ولا سيما أن المحفة ضيقة لاتكفي لكي تنام

فيها". فقال بلال (خادم حسن): "ليس في المحفة فتاة ولا امرأة، فقد تذكرت الآن أن لهذا الرجل محفة قد احتفظ بها في منزله لايطلع أحد على ما فيها، وأهل المدينة مشتاقون لمعرفة سرّها. فلعلها هي هذه".

فنهض عرفجة و تحول إلى باب الخيمة و نادى قنبر عبده، ثم رجع ، وبعد هنيهة دخل قنبر وعلى كتفه المحفة وعليها ستار، فوضعها بين يدى محمد وخرج. فقال محمد لعرفجة: "ما هذا؟".

قال: "هذا تابوت العهد". ثم أخرج مفتاحاً ورفع الستار عن المحفة وجعل يعالجها بالمفتاح حتى فتحت فرفع سقفها وحسن ينظر ويتطاول بعنقه وهو يعجب من غدر عرفجة وخبثه. ثم مالبث أن رآه مد يده إلى داخل المحفة وأخرج شيئاً مغشي بالديباج فرفع الديباج عنه فإذا هو كرسي خشبه يلمع كالمرآة.

وكذلك نرى عنصر التشويق للقارئ في الرواية مثلاً:

إذا تجرعت سمية السم ولكنه في الحقيقة دقيق الذرة الذي أبدلت ليلى.

وكذلك إذا أمر الحجاج للجلاد بقتل حسن قائلاً: "اقتله يا جلاد وإلا قتلتك".

## ذكر الخادم/ الخادمة في الرواية

يذكر جرجي زيدان شخصية الخادم والخادمة مع البطل والبطلة في الرواية. فالخادم أو الخادمة هما وسيلة الاتصال بين أطراف الرواية الغرامية. وبواستطهما يستطيع القاريء التوصل إلى مكنونات قلب الأحبة فالفتاة المحبة، تبوح بسرها لخادمتها، ومن ثم تتلقى من خادمتها أووصيفتها النصح والإرشاد.

مثلاً: نجد في الرواية شخصية أمة الله وكانت هذه الجارية حبشية، تحب سمية كثيراً كما أن سمية كانت تستأنس بها وتكرمها فلما ابطأ قدومها في تلك الليلة شغل بال الجارية ولم تستطع رقاداً، حتى طرقت سمية الباب ففتحت لها، وترامت عليها وقبلتها ورحبت بها. وكانت سمية ترتاح إلى مكاشفة أمة الله ببعض شؤونها الخاصة.

وكذلك عبدالله وبلال (خادما) حسن ، تصاحبا معه من مدينة إلى مكة ويساعده في البحث عن سمية وإيصاله بالحيلة إلى دار النساء في بيت الحجاج بن يوسف. أمة الله وعبدالله وبلال يسعون ويتضيحون لإلتقاء حسن وسمية حتى احتفلوا زواجهما في المدينة في بيت عرفجة.

## ظاهرة الوعظ والإرشاد والتوجيه

توجد ظاهرة الوعظ والإرشاد والتوجيه في الرواية مثلاً:

"فلما سمعت سمية كلام أمة الله أحست بانشراح صدرها وارتاح بالها وعادت إليها الآمال والإنسان سريع الرجوع إلى الأمل لأن طبيعة الوجود تبعده عن اليأس، وحب ذاته يهون عليه الرجوع عن الانتحار حباً في البقاء ، ويندر أن يرتكب أحد جريمة الانتحار بعد إعماله الفكرة والتبصر. وما لبثت سمية أن استحسنت رأي جاريتها فقالت لها: افعلي ما بدا لك ، فأنت تعرفين ما في قلبي، فعسى أن يأتيني الله بالفرج على يدك".

**ظاهرة القدر في الرواية**

يقول جرجي زيدان عن القدر عند المصيبة: "والمرء ميال إلى التماس التعليل، والناس يتفاوتون في مقدرتهم على ذلك. فبعضهم إذا وقع في مصيبة هان عليه تطبيق عواطفه على تلك المصيبة فيجعل لنفسه مخرجاً من سوء عواقبها ومنهم من يزيده قلقاً ولكنه لا يلبث وإن طال قلقه أن يتوصل إلى حل يتوكأ عليه ريثما يرى مايأتي به القدر.

**الفرق بين الحياة البادية والمدنية**

يذكر الروائي الفرق بين حياتين: مثلاً: الحواربين الراعى وحسن يجرى هكذا:

"ولا حاجة إلى مسيرك معي فقد تعبت، وإن كنت في عنفوان الشباب لأن أهل المدن لا يقوون على المسير مثلنا". وكذلك يذكر الفرق بين زواج البادية والمدنية.

**الاستشهاد بالآيات القرآنية**

يستشهد جرجي زيدان بالآيات القرآنية، مثلاً:"

- {وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً} ص:50.
- {إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} ص: 103، 182.
- {قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ} ص: 128.
- {يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا} ص: 183.
- {وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاء} ص: 176.
- {نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ} ص: 129.
- {بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء} ص:175.

**الاستشهاد بالأحاديث النبوية**

بستشهد جرجي زيدان بالأحاديث النبوية، مثلاً:

- [وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون]
- وفي الحديث: [إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصورة إلا رقماً في ثوب]
- عن ابن عباس رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [من عشق فمات فهو شهيد] ص: 75.
- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: [عفوا تعف نساؤكم] ص: 75.

**الاستشهاد بالأشعار**

يستشهد جرجي زيدان بالأشعار الكثيرة مثلاً:

- وذى حاجة قلنا له لا تبع بها
- فليس إليها ما حييت سبيل ص: 25.
- نأتك بليلى دارها لا تزورها
- وشطت نواها واستمر مريرها ص: 29.
- وهل ألقين فرداً بثينة مرة
- تجود لنا من ودها ونجود ص: 75.
- هما دلياني من ثمانين قامة
- كما الخط باز أقتم الريش كاسره ص: 58.
- طرقتك صائدة القلوب وليس ذا
- حين الزيارة فارجعى بسلام ص: 59.
- وأعجبني يا عزمنك خلائق
- كرام إذا عد الخلائق أربع ص: 59.
- ولولا أن يقال صبا نصيب
- لقلت بنفسى النشا الصغار ص: 60.

**استخدام الأمثلة في الرواية**

يستخدم الروائي الأمثلة في الرواية، مثلاً:

- "وكأن الطير على رؤوسهم" ص:19، 161، 127.
- " فإنه طويس مشؤوم" ص: 23.
- "مات حتف أنفه" ص: 133.
- "يكاد الشرر يتطاير من عينيه" ص:91، 159.
- "كان الليل قد أرخى نقابه" ص: 134.
- "كان الليل قد سدل نقابه" ص: 181.

**استخدام صيغ التعجب والاستفهام والحلف**

يستخدم جرجي زيدان صيغ التعجب والإستفهام، والحلف في أسلوبه. مثلاً:

"أراد قتل حسن؟! إن أبي ظالم والظالم لا يحبه الله فكيف أحبه أنا".

"آه مالى أزداد تعلقاً وهياماً" . "يا إلهي ماهذا الحب".

أما صيغ الحلف فهي:

فأدركت عبدالملك غيرة فكتب إلى الحجاج يقسم عليه ألا يضع كتابه من يده حتى يطلقها". "فأقسم ألا ينزع سلاحه ولا يقرب نساءه ولا الطيب حتى يقتله". "والله يا أماه ما ركنت إلى الدنيا".

"والله لرجوعك عن الحجاز" "والله لولا حرمة الخليفة لم يكن في الأرض من ينجيك من القتل".

**استخدام التشبيهات والإستعارات والكنايات والتلميحات**

والرواية مليئة بهذه الأمثلة ، مثلاً:

(أ) التشبيه:

"فلقيته في انتظارها على مثل الجمر".

"لأن الدمع غشي بصرها ثم تساقط كاللؤلؤ على معصميها".

"واستل من منطقته خنجراً لمع نصله كالبرق".

(ب) الإستعارة:

"فجاءني في أصيل اليوم رجل طويل القامة منطوٍ على رحله كأنه جان".

" فرأى شبحاً يعدو صاعداً من الوادي كأنه غزال نافر".

(ج) الكناية:

"فأحست سمية من هذا التعريض كأن صخرة وقعت على رأسها".

"بل خيل لهما أن اولئك الفرسان إنما هم ملائكة من السماء جاؤوا لحراستهما".

(د) التلميح:

"هذا الكرسي محله فيكم محل تابوت بني اسرائيل".

**خلاصة البحث**

لخصت من هذا البحث بأن جرجي زيدان من أحد أعلام النهضة الصحفية والأدبية والعلمية الحدثية في الشرق العربي، لا بل أحد زعمائها المتقدمين . عصامي نابغة بنى مجده العلمي الخالد بيده، فهو رائد من رواد تجديد علم التاريخ والألسنية السامية والصحافة العربية والبحث العلمي الدقيق، كما كان أحد رواد فن القصة التاريخية الطويلة. وهو من أخصب مؤلفي العصر الحديث وضع جملة من المؤلفات لم يسبق إليها، في التاريخ وفلسفة، واللغة وآدابها، والفلسفة، والسير والتراجم، والقصص التاريخي والصحافة.

والرواية الحجاج بن يوسف تتضمن حصار مكة على عهد عبدالله بن الزبير إلى فتحها ومقتله وخلوص الخلافة لعبد الملك بن مروان. مع ما يتخلل ذلك من وصف مكة والمدينة.

شخصيات الرواية حقيقية وبعضها خيالية.أحداث الرواية تاريخية وغرامية ولكن عنصر الحب غالب. ذكر جرجي زيدان مظالم الحجاج بن يوسف قائلاً " كان الحجاج طماحاً إلى السلطان والمجد، فسلك إليها سبيل الظلم والقسوة وتذرع لنيلهما بالفصاحة والقوة، ورزقه الله من طلاوة اللسان وقوة الجنان القسط الأوفر، فانتهى أمره إلى السلطان القاهر والكلمة النافذة".ذكر جرجي زيدان السنون والتواريخ حسب كتب التاريخ.أسلوب الرواية ممتعة جداً واللغة سهلة. استشهد الروائي بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار والأمثلة. والرواية مليئة بالتشبيهات والإستعارات والكنايات والتلميحات.

## المصادر والحواشي


1. دراسات في الأدب العربي الحديث: دكتور محمد مصطفى هدارة ، الطبعة الأولى دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان 1410هـ/ 1990م. ص: 433، انظر، القصة والرواية: الدكتورة عزيزة مريدن، دارالفكر بدمشق، 1400هـ / 1980م ص: 26 ، بين الكتب والناس: عباس محمود العقاد، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة 1985م.ص:200، في نظرية الرواية؛ بحث في تقنيات السرد: دكتور عبدالملك مرتاض، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، شعبان 1419هـ / ديسمبر 1998م.ص:95
2. الحجاج بن يوسف: جرجي زيدان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1420هـ / 1999م الحجاج بن يوسف: جرجي زيدان، ص: 177.
3. المصدر نفسه ، ص: 178.
4. آفاق الرواية: الدكتور خليل موسى و الدكتور ظافر بن عبدالله الشهري، الطبعة الأولى، مطبعة اليازجي، دمشق 1423هـ/2002م. ص: 34.
5. تاريخ التمدن الإسلامى: جرجي زيدان، الطبعة الأولى ، دار الثقافة، بيروت 1910م. ص: 054/1
6. جرجي زيدان في الميزان: شوقي أبو خليل، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق 1401هـ / 1981م. ص: 9.
7. وقفة مع جرجي زيدان: دكتور عبدالرحمن العشماوي، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض 1414هـ / 1993م. ص: 44.
8. الحجاج بن يوسف: جرجي زيدان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1420هـ / 1999م. ص: 17.
9. البداية والنهاية: الإمام ابو الفداء حافظ بن كثير الدمشقي (ت: 774هـ / 1373م). /332، تاريخ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ/ 923م) دار الفكر ، بيروت، 99/2 0
10. الحجاج بن يوسف: جرجي زيدان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1420هـ / 1999م. ص: 178.

11. المصدر نفسه، ص: 141، 142.
12. الأسلوب ؛ دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية: أحمد شايب، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1956م. ص: 31.
13. تحت شمس الفكر: توفيق الحكيم، دار الثقافة، بيروت 1966م. ص: 13، انظر، في العربي المعاصر: الدكتور السعيد الورقي، الطبعة الأولى، دار النهضة 1404هـ / 1984م،ص: 13.
14. فن الأدب: توفيق الحكيم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1955م. ص: 9.
15. الحجاج بن يوسف: جرجي زيدان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1420هـ / 1999م. ص: 21.
16. المصدر نفسه، ص: 179.
17. المصدر نفسه ، ص: 50.
18. المصدر نفسه ، ص: 74.
19. المصدر نفسه، ص: 46،52،53.
20. المصدر نفسه، ص: 115،.117.
21. المصدر نفسه ، ص:192،191.
22. المصدر نفسه، ص: 87.
23. المصدر نفسه ، ص: 101.
24. المصدر نفسه ، ص: 93.
25. المصدر نفسه ، ص: 79.
26. المصدر نفسه، ص: 29.
27. سورة الانفال، الآية: 42.
28. سورة البقرة، الآية: 153.
29. سورة الكهف، الآية: 78.
30. سورة مريم، الآية:23.
31. سورة ابراهيم ، الآية:27.
32. سورة الانفال، الآية:40.
33. سورة آل عمران، الآية:73.
34. صيح مسلم: أبو زكريا يحي بن شرف (ت: 677هـ / 1278م) دار الفكر للطباعة والنشر

والتوزيع، بيروت ، لبنان، رقم : 565، باب الصورة ،151/2.

35. سنن أبي داؤد: أبو داؤد سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (275هـ / 889م) المكتبة الإسلامية، محمد أزدمير، إستانبول، تركيا 1981م,/170، رقم: 4153، باب الصور،91./2.

36. صحيح مسلم: أبو زكريا يحي بن شرف (ت: 677هـ / 1278م) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان 1981م،باب الشهداء،122./2 .

37. المستدرك على الصحيحين في الحديث: أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت: 405هـ/ 1014م)، مطابع النهضة الحديثة الرياض، السعودية 1978م، رقم 270/7258،4.

38. ديوان ليلى الأخيلية: ليلى الأخيلية بنت عبدالله بن الرحال بن كعب بن معاوية الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1958م. 155/1.

39. ديوان توبة: توبة بن الحميّر الخفاجي (ت: 704م) طبع اول، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت 1960م 256/2